الفصل السادس

التربية وإعادة البناء الاجتماعي في خطاب محمد عفيفي مطر الشعري

أولاً: المجتمع في فكر محمد عفيفي مطر:

أصبح العالم الآن قرية صغيرة فلا يوجد جزء من العالم بمنأى عن التأثير بالأجزاء الأخرى وكانت التغيرات العالمية ذا أثر كبير في إحداث العديد من التغيرات المتلاحقة على كافة المجتمعات وكل ذلك ليس ببعيد عن بنية المجتمع المصري حيث انتابته مجموعة من التغيرات في كافة المجالات[1].

ولا يمكن لمجتمع من المجتمعات أن يعيش بمعزل عن المجتمعات الأخرى ويحتاج المجتمع إلى وجود فلسفة عامة يتم من خلالها النظر إلى الحياة والكون وتحديد الموقف من العقيدة وطرحه الرؤية العامة لمفهوم التقدم والتطور ومن ثم فإن الفلسفة الاجتماعية هي التي تعطي للأفراد معنى حياتهم فتدفعهم إلى التعلم وإلى العمل المنتج وإلى الإيمان بسلم من القيم في نشاطهم الاجتماعي[2].

والمجتمع الذي يشكله خطاب عفيفي مطر الشعري يرى ضرورة وجود فلسفة اجتماعية تقوم على أساس من التكافل الاجتماعي الذي يساند المجتمع فيه أفراده وجماعته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيبتها وسيطرتها فيعيش الأفراد في كفالة اجتماعية[3] كما تكون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم [4].

كما أن عملية التربية لابد أن تصبح نظرة اجتماعية شاملة ، تتجاوز التربية مجال المعرفة والمعلومات لتشمل علاقاتها بالثقافة والسياسة والاقتصاد والبيئة والصحة والدين والأخلاق والترويح والإبداع...الخ ، وذلك سوف ينعكس بالطبع على أهداف التربية وتوجيهها نحو تنمية وعي الإنسان بالبيئة المحيطة به والتي (تتضمن مشاكلها ومخاطرها وسبل مواجهتها وذلك بالحياة السياسية (الحرية ، الشورى ، المساواة ، والعدالة.....الخ) بالإصلاح الاقتصادي (طرق زيادة الإنتاج ، تقديس العمل ، تنمية روح العمل الجماعي..الخ)[5].

1-المجتمع المصري في ظل التحولات الراهنة:

ولأن مجتمعنا يعيش حالة من هشاشة النمو الاقتصادي نتيجة لقيم السوق والانقلاب في مقايضة كل شيء فإن ذلك سوف يكرس لحالة من التدهور المجتمعي.

فتدهور المجتمع الذي تديره قوانين السوق العمياء وحدها وأصبح يعاني من افتقاد مرتكزات المعنى مما أدى إلى اضطراب المعلمين وعدم أهمية المؤسسة المدرسية بالنسبة لقطاعات كبيرة من الشباب وسيادة العنف الأعمى في مجتمع يقوم نظامه على حدة تنافس الكل ضد الكل وغياب الشعور بالانتماء لدى ملايين العاطلين عن العمل والمطرودين من وظائفهم فهؤلاء يعانون من الشعور بعدم أهميتهم في المجتمع وافتقادهم لأي منظور للمستقبل أو لأي معنى لهذا المجتمع[6].

ويؤكد عفيفي مطر على احتياج مجتمعنا المصري أكثر من أي وقت مضى لإعادة التحديق في أسس العقد الاجتماعي بأن تسقط نهائيا قوائم المصطلحات البدائية الرجعية والظلامية والتخوين ووحشية التعميم وأن تسقط أسلحة المعارك التي يستأنفها أصحابها بانتهازية سلطوية غاشمة ليبلغوا ثاراتهم الفكرية والسياسية القديمة[7].

2- ظواهر فوق سطح المجتمع المصري:

ويجاهد محمد عفيفي مطر لنفي ظاهرة الاستسلام في الممارسات الاجتماعية في مجتمعنا أمام غياب كثير من الحريات السياسية والشخصية حيث يتم شغل حياة المواطن كل مواطن بتفاهات الحياة اليومية وعراقيلها غير المعقولة وفي ضمان هذه النتيجة المفزعة:

استقالة المواطنين عن أداء واجباتهم الوطنية ، وكأن مصر ليست لهم ، وكأن ليس هناك قضية للدفاع عنها ، وانحصر اهتمام القوم في الحصول على ضرورات الحياة[8].

ولاشك في أن الممارسات التربوية بصورة عامة تتأثر إلى حد كبير بالمستويات الفكرية والثقافية لأوساطها الاجتماعية تلك الأوساط التي تم ربطها بمنظومة خضوع مستمر للتكالب على صيغ استهلاكية لا تساعد على تقدم المجتمع وتحديثه.

ونتيجة لغياب فلسفة اجتماعية واضحة فقد أدى ذلك إلى خلق لحظات تاريخية شكلت حلقات من العنف والتعصب سادت المجتمع بشكل وجه فيه المسلم سلاحه لأخيه المسلم ، وتنامت حركات أصولية أخذت تجذر لفكرها ، وذلك يذكرنا بخروج المسلمين من معاركهم الجانبية في المجال السياسي إلى فرق وطوائف. فتمخضت نتيجة لذلك إلى الوجود فرق سياسية ودينية في ترجمة الصراع على السلطة من خوارج وشيعة ومعتزلة ومتصوفة وأشاعرة ومذاهب أخرى متعددة وسرعان ما انتقل المسلمون من حالة التجانس المطلق في الفكر والعقيدة والمذهب إلى حالة التنوع والتعدد والاختلاف ومن ثم الصراع[9].

ولا يغيب عن ذهننا أن أبعاد هذا النهج السائد في المجتمع أدى إلى مزيد من التدهور في الوضع الثقافي إذ تراجع الكتاب ودوره في البناء التربوي وضاقت الحرية أمام المسرح والسينما والموسيقا والفنون الأخرى كلها ، مع

زيادة السكان وتنامي أعداد الجماهير المتلقية التي تربطها والثقافة وإبداعاتها وتأثيراتها الحقة أوهى الصلات فنمت في أوساطها بالمقابل قيم التقليد الأجوف لكل ما هو أجنبي وتسيدت عادات الارتجال والخفة واللامبالاة في مواجهة أمور الحياة ومتطلباتها الآنية والمستقبلية[10].

ولما كانت اجتماعية الإنسان السياسية ضرورة طبيعية تفرضها ضرورات حياة الإنسان وهذه الاجتماعية هي التي تشكل مجموعة القيم والقواعد والاتجاهات العامة التي يتخذها أفراد المجتمع لتنظيم شئونهم الخاصة والعامة ، وهذه هي التى تستوجب من الإنسان التعاون مع غيره من بني جنسه لتحقيق تلك الضرورات ولا يتم ذلك إلا في إطار الدولة[11]. ولا يجد الباحثون نموذجا للفشل اجتماعيا أوضح أو أكثر فداحة من نماذج الدول العربية حيث الثروات طائلة والتنمية متدنية في مجتمع طبقي أبوي ممتد بطول حياتنا تتلاشى فيه الكثير من قيم الحرية وتطمس فيه ضرورات الحياة البسيطة لأي مواطن بسيط.

وليست الممارسات السياسية المنتشرة من جانب كثير من الهيئات الحاكمة في بعض الدول العربية بداعية إلى الرضا أو التفاؤل بل هي تبعد أكثر فأكثر أفق الحرية عنا وتعاضدها ممارسات اجتماعية بعضها أنشأته قصدا جهات حاكمة في بعض البلاد والآخر انساقت إليه هنا أو هناك طبقات أو فئات اجتماعية وأفراد الناس ، هذه الممارسات لا تساند مطلب الحرية[12]. حتى يستطيع الفرد في مجتمعه العمل على تفكيك وتجاوز المجتمع الأبوي هذا المجتمع الذي جعل من أوطاننا فريسة سهلة للطامعين والغزاة.

3-محمد عفيفي مطر والخروج من حالة المجتمع الآنية:

ورغم ذلك فإن محمد عفيفي مطر يرى أن أمامنا فرصة لإحياء الأمل في مستقبل أمتنا ومواجهة التحديات المصيرية التي تواجهنا وذلك يبدأ من

تطوير التعليم والتركيز على الاستثمار البشري حيث يمثل ذلك لنا الفرصة المبتغاة للخلاص[13].

فالتعليم هو رأس الحربة نحو تغيير شامل للقيم المجتمعية المتوارثة والتي أسهمت في الماضى ولا تزال تسهم في ما نحن فيه من أزمة خانقة ، والتعليم المنشود يسهم في خلق نظام قيم غير معروف من قبل يهدف هذا النظام القيمي الجديد إلى الارتقاء بالفرد إلى مستوى من العطاء والإنتاج يزيد إنتاجية المجتمع ويحسن مستوى الفرد المعيشي[14]. وذلك في سياق حركة اجتماعية عنوانها وأفقها المحرك هو التنمية الشاملة وتوسيع إطار الديمقراطية وتعزيز مؤسسات المجتمع المدني وتفعيل قيم الحوار والتعددية وقبول الرأي والرأى الآخر ، وفى القلب من تلك الحركة الاجتماعية توفير حرية التفكير والبحث العلمي وإنشاء نظام تعليمي مختلف كليا عن النظم القائمة حاليا في مجتمعنا وكافة المجتمعات العربية مختلف في مادته وفلسفته في الأساس على تأهيل وإعداد كوادر تعليم عالية المهارات واحترام عقل المتلقي وتوفير وسائل تمكنه من الاستيعاب الناقد للمعلومات والأراء وإبداع الأفكار واختصار الزمن في مناهجنا التعليمية[15].

إن هذا الدور الأساسي للتعليم هو الدور نفسه الذي لعبه التعليم في أوربا في القرن التاسع عشر وهو الدور نفسه الذي لعبه التعليم في اليابان في عصر "ميجي" في النصف الأخير من القرن التاسع عشر فوقف وراء الحراك الاجتماعي ووضع نهاية للنظام الاجتماعي القديم ذي القيم العائلية والقبلية والاقطاعية والطائفية وفتح الطريق في نهاية الأمر لخلق مجتمع جديد تشتق فيه قيمة الفرد من إنتاجيته وليس من انتمائه القبلي أو الأسري أو الطائفي[16].

وحالة التخلف التي تحياها معظم الدول العربية ليست صنيعة التعليم وحده بل هي صنيعة المجتمع الذي يعكسه هذا النظام التعليمي وهذا يقتضي شيئا آخر غير إصلاح التعليم، أي غير مجرد التكييف مع الضرورات المستجدة، فمجتمعنا ينتمي إلى ضرورة التغيير الجذري. ومثل هذا المجتمع يدعو إلى التفكير الأساسي حول غايات التعليم وإلى قلب كامل لمعطيات المشكلة، فدرجة التنافر الاجتماعي التي بلغتها مجتمعات السوق اليوم تستدعي أفكارا مختلفة في الأساس وهي أن هدف التعليم لا يمكن أن يكون تكييف الإنسان مع الفوضى القائمة بل لابد أن نوفر للإنسان وسائل للتعالي بالإنسان، وسائل لإبتكار مفهوم جديد للإنسان والمجتمع والعالم[17].

ويطرح محمد عفيفي مطر عددا من الأسس التي تشكل دعائم المجتمع نوجزها فيما يلي:

4- الأسس التي يجب أن تقوم عليها دعائم المجتمع المصري كما يطرحها الخطاب الشعري لعفيفي مطر:

أ- إيجاد آلية للتحديث والتغيير في المجتمع:

ويتم ذلك من خلال الارتباط بمشروع سياسي يؤدى إلى بناء دولة تقوم على أسس توفر الحرية للفرد والمجتمع برؤية اجتماعية تنصف كافة شرائح المجمع وتمكن المرأة من حقوقها من خلال منظومة ثقافية لا تمسخ التراث، ولا تقف عائقا أمام التجدد الحضاري، وضرورة تبني مشروع واضح الملامح والمعالم، سمته المرونة، ليشكل دليلا للعمل، والتأكيد على إيجاد تلك الآلية أو الآليات التي تكفل تنفيذ المشروع وتحويله إلى واقع سياسي وثقافي يغذي الوعي والمعرفة والوجدان ولا تلغيه التطورات السياسية أو الأمنية الخارجية، فالاتكاء على الماضي فقط والارتداد إليه يقوض البنيان ؛ فها هو مجتمع لا يستطيع الأب فيه توفير علاج أبنائه الذين غيبهم القبر في واقع سياسي وثقافي لا يستند إلى وعي أو معرفة ؛ يقول محمد عفيفي مطر:

ثَقُلَتْ عليَّ عباءةُ الدم والرمادِ
وثَقَّبَ الرملُ الطريُّ جروحَ أوسمتي
بمعجون النياشين الصدئيةِ والرميمِ
الهشِّ من عظمٍ وفولاذٍ ،
وكانت في فجاج الروحِ قافلةٌ ،
وسبعةُ إخوةٍ ماتوا صغارًا.

من قصيدة" نوبة رجوع"[18] ديوان فاصلة إيقاعات النمل.

وقف الموت على الشباك ساعاتٍ طويلة
كان في هيئة صقرٍ ضامرٍ ..
يسمع أنفاسًا ضئيلة
يرقبُ الشيءَ الذي يضحك في نظرةِ
طفلٍ عاش أيامًا قليلة
أمُّه تشربُ من أنفاسه عطرَ الطفولة
أمه تحضنه في حِجْرِها ، تقرأ في
عينيه آياتٍ جميلة
وتذودُ الموتَ عنه بالتسابيح الطويلة.

من قصيدة: "من أغانى الحواكير"[19] (ديوان مجمرة البدايات).

ب-تحقيق عدالة اجتماعية حقيقية:

وذلك في مواجهة الاستغلال في الأخذ بعين الاعتبار مصالح الطبقات الشعبية العاملة فتغافلها أدى إلى تفاقم الفجوة في المجتمع الأمر الذي يهدد النسيج الاجتماعي مع مضاعفات وخيمة للمجتمع بأسره ويتطلب ذلك البحث عن توازن بين مقتضيات الكفاية الإنتاجية والعدالة الاجتماعية فغاية المطاف أن يعثر الإنسان في هذا المجتمع على ثوب ورغيف ومكان يقيه تقلبات الجو:

أعوام يا فردوس !!
وعشناها في التيهْ !!
عشنا سوَّاحا تبحث روحانا فيهْ
عن ثوبٍ ، وبقايا ظلٍّ ، ورغيف
وهنيهة نومٍ فى حضْنِ أليف.

من قصيدة: "فردوس بائعة المانجو"[20] (ديوان من مجمرة البدايات).

جـ-مواجهة العولمة بالتجديد في الأفكار:

يواجه العالم بأسره والمجتمع المصري تعولم الأسواق والثقافات حيث التطور الهائل المتعدد الجوانب في المعرفة الإنسانية في فترة زمنية بسيطة تغيير مفهوم الإنتاج للعمل الإنسانى ـ تغيير ثقافي مستمر يواكبه اهتزاز في منظومة القيم وتذبذب في الاتجاهات[21]. ويتطلب ذلك مواجهة تعتمد على نوع من التجديد في الأفكار والتطوير في البرامج والتحديث في المناهج والأساليب ، وعليه فلابد أن نسرع لمواجهة حركة التغيير والبعد عن التمسك بما ألفناه من أنماط وأساليب حياة لم تعد صالحة حتى نستطيع الصمود في وجه التحديات وذلك بالرحيل عما ألفناه:

أعْلَنْتُ ميثاقَ الإقامةِ بالرحيل
وتركتُ وقْعَ خطايَ في سرِّ الشجر
واسَّاقطتْ ما بين عيني والبلاد
زمرداتٌ من حجر
فعرفتُ طعمَ الخبز مرتجفًا ، وقلت ،
وقال لي الموتى ، أطلتُ ، استألفوني
بالتذكر ، وارتمى عني الرداءُ ،
الأرضُ رَوَّتْني ،

وبلَّلَت الرمالُ السافياتُ بريقَ عينيَّ
المحدقتين في حَجَرِ الظلامْ.

من قصيدة: **"موت ما لوقت ما"**[22] (ديوان أنت واحدها...).

د-إنجاز نظرية للمعرفة:

تكون تلك النظرية غير مرتبطة بمتاهات الجدل العقيم بين الأصالة (والمعاصرة) ، الحداثة أو بين الهوية ، والحداثة والتراث ، وذلك بالتماهي مع الفكر العربي بروافده الدينية الفلسفية والسياسية كأساس لمجتمع المعرفة ، فيدخل الشاعر إلى الأرواح والأجساد رجفة تنير العروق بمعرفة حقه رغم الجدل العقيم الذي صار ليلا يجهض كل صباح وكل محاولة جادة مستنيرة للخروج من تلك الإشكالية:

إنني أدخل ـ كالظنّ ـ إلى أرواحكم
وإلى أجسادكم
أبدأ الرحلةَ ما بين العروق المعتمة
علَّني أنظر ما يشبه شمسي المظلمة
علني أنظر ما يشبه أعراس الرّدى في الزحمة المنهزمة ..
ربما قابلني الليل الذي يُجهض في كل صباح
ربما يُسمعني السيف حوار الدم في
اللحم الغريض المستباح .
عدت منكم بعد أن دوَّخني الليلُ وأعماني الطواف
وارتوت روحي من البؤس الجِبِلِّيِّ الرهيب
لم أجد غير الثمار الحجرية
واللغات الحجرية ..

من قصيدة: **"فى المعرفة المرة"**[23] (من ديوان ملامح من الوجه...).

هـ- الانحياز لدور العقل:

الدعوة إلى الانحياز لدور العقل وسلطته ومساندته للحركة والتغيير في المجتمع والفكر والانقطاع عن الفكر الغيبي والاعتماد على العلم والمنجزات العلمية التي بلغتها الإنسانية. فقد اسقطت وسائل الاتصال والمواصلات الحواجز بين المجتمعات ولم تعد الأزمان ولا المسافات تفصل بعضها عن بعض. ولا يستطيع أي مجتمع أن يصمد في مواجهة هذه التغييرات السياسية ــ الاقتصادية ـ الثقافية ـ العلمية والتكنولوجية...الخ ، أو حتى المشاركة فيها مالم تكن "القوى البشرية المؤهلة تأهيلا علميا وتقنيا بما يجعلها قادرة على معايشة ومسايرة التحديات التي أفرزتها تلك التغييرات"[24]. فعقم العقل يجسد الرعب ويوقف السير بقدم قوية ، فتنساب طرق الباطل التي تهوي إلى القيعان ثم تنكشف حقيقة ودور العقل أمام ما تنجزه الإنسانية ونحن غارقون في الفكر الغيبي.

جَسَّدني الرعبُ الأخرس في قدمين
(عذبني أن أملك هاتين القدمين :
قدماي الضامرتين
في طرق السعي الباطل مركبتان
واحدة تصعد في الطرق الجبلية
والأخرى تهوي في القيعان)
أكرهني أن أتجسَّد في وجهٍ مهجور
أكرهني أن أتجسَّد فوق حبال الصوت
فانفضح الراقصُ حين تعرَّى تحت النور.

من قصيدة: "عقم الاخضرار والتجسد"[25] من ديوان ملامح من الوجه...

و- العمل على مراجعة مكونات المجتمع الحديث:

لابد أن تتم مراجعة مكونات المجتمع المصري بدءا من المنظومات التربوية (أي محو الأمية إلى المراحل الابتدائية ثم الثانوية وأخيرا الجامعة وانتهاء بمعاهد البحوث والدراسات والمسألة لا تشمل طريقة التعليم ومضمون البرامج التعليمية وفقا لمتطلبات السوق فحسب بل أيضا وفقا لرؤيتنا عن ثقافة الإنسان العربي، فالمنظومات التربوية تحجرت حتى صارت وجها ممسوخا خاضعة مستسلمة لا تنبت ولا يعطي طميها ثمارا حقيقية فهناك اختلال واضح وحالة قديمة من الجمود:

وتحجرت واستسلمت للنار
فارتدت النار عنها ..
لم تطهِّرْ وجهها الممسوخ
واستسلمت في النهر للتيار
لا الماءُ أغرق ما في الصدر من أسرار
ولا ارتمى احمرار الطمي في العينين
من بعد ما اسودَّتا بالرعب أو بالعار
وبعدما ابيضَّتا باليأس والإنتظار.

من قصيدة: "كتاب المنفى والمدينة"[26].

ز- تحديد وفهم مشكلات المجتمع الخاصة:

إدراك المجتمع لمشكلاته الخاصة من خلال التربية ، فالعلاقة بين التربية وتغيير المجتمع هي علاقة متشابكة مترابطة ، فغايات التربية وأهدافها لا تصنع من فراغ ، فهي منبثقة من واقع الحياة الاجتماعية والقيم الثقافية السائدة في المجتمع ، فالشاعر لا يترك مجتمعه وأرضه ، فعلاقته بأرضه هي إيمان من كليهما بقيمة الآخر فهو يتلمس مشاكلها من واقع تسوده حالة الموات فيسعى

لانتشالها من أزمتها ويدعو إلى محبة لها تعويذة حيث يستطيع هذا الحب المخلص بعث الحياة لها من جديد ببناء تربوي جديد:

وجئتها بين زفير العرس والإحتضار :
وضعت كفي على بطنها
فصار حبي لها تعويذة الإختمار
وصار سخطي عليها سفينة مشقوقةً
ما بين زيت ونار
وصار صوتي ابتهالا غاضبًا وانتظارًا
لسنبلات الجروح
وصار حبي نزيفا وحربةً تشق لحم الهزيمة.

من قصيدة: "كتاب المنفى والمدينة"[27].

حـ-المعرفة لتحرير الإنسان:

أن تهدف التربية في المجتمع إلى تيسير الحصول على المعرفة ، والمعرفة أداة لتحرير الإنسان من الجهل وجعله معتمدا على نفسه قادرا على تكوين أحكامه واختيار ما يناسبه من المواقف بالإضافة إلى ماتسهم به التربية من التغيير وخلق روح القدرة على التغيير وما إلى ذلك من نتائج تؤدي إلى توفير بيئة اجتماعية وثقافية تضمن صون حقوق الإنسان في العيش بحرية وأمن واستقرار ، باحثا عن أفقه ، مانحا صفاته المرتبطة بأرضه لأرضه ذاتها ومجتمعه الذي يحاول فيرى طينة أرضه هي ما تناسبه في بحثه عن أفقه الجديد فالطينة هي مادة الخلق الأولى وعليه أن يبدأ في رسم ما يراه مناسبا لتحرير الإنسان وذلك بالمعرفة:

واحمل حصاد الدهر
بعثره وابدأ من ظلام الغمر

obeikandi.com

تكويرةَ الأرض .. خذها طينةً من وجهك الأسمر
وابدأ تقاويمَها من سيفك الأخضر
يا جسميَ الظامي
كن غيمةً .. واسقط على أرضي.

من قصيدة: "كتاب المنفى والمدينة"[28].

ت-التربية المستمرة لبناء الإنسان:

يشكل دور التربية دورا أساسيا في مواجهة ما يحيط بنا (العولمة) والتعرف على آلياتها من أجل بناء وإعداد الإنسان القادر على بناء الغد المقبل بتكوين الأجيال التي تملك المهارات والكفاءات ، تلك المهارات المسلحة بالقدرة على التعامل مع تلك الظاهرة التي تحتوى على كل ما يقابلها وتبتلع الحدود والحواجز ، فالبلاد البعيدة تفتح أبراجها ونحن مازلنا واقفين حتى يأخذنا موعدها فهي عطشى لاحتواء الآخر:

البلاد البعيدة تفتح أبراجها ،
وترش شوارعَها عطشا موسمياً
وتلبس جدرانُها موعدا آجلاً
يتفتَّح تحت الأزاميل والنقش
نمنمةً ورسوما ملونة بدم الأُضحيات ،
السواقي تشد ربابتَها وترا وترًا ،
يتكسَّر وجهي ولائمَ في الحلم ..
رائحتي لليتامى أبٌ غائب يتأهب
فوق الخيول العصيَّة
يحمل من كل شيء سلالاً.

من قصيدة: "كتاب المنفى والمدنية"[29].

ى- جعل التربية عملية بناء مستمر:

فعفيفي مطر يجعل من التربية بناء مستمرا ونشاطها لا يتوقف بحيث تكون قادرة على مواكبة وتلمس جميع التطورات والتغييرات التي تصيب المجتمع وما يترتب عليها من أزمات أو مشكلات فيكون حلمه آلية دفاع ضد ما يراه من خراب وتجهيل فلا تكون المواجهة هشة:

القبائل تزرع أنسابَها الملكيةَ
في الوشْم ، أن الذي جاء يأتي ..
اقتربْ ..
وألقِ دلاءَك
لا تُلقِها بين أيِّ الدلاءِ ،
اقتربْ سفرًا ، إنها الطبقاتُ من الورق
انكسرَ النقْش منتشرًا
في فضاءِ اكتمالاتهِ .
.....
طبقاتٌ من الورق.

من قصيدة: "أول الحلم آخر الحلم"[30].

ثانيا: محمد عفيفي مطر وعوامل التغيير الاجتماعي:

1- نظريات التغيير الاجتماعي:

هناك نظريتان أساسيتان في نظريات التغيير الاجتماعي هما: نظرية الصراع ونظرية التوازن :

نظرية الصراع:

وترتكز نظرية الصراع في الأساس على الأفكار الماركسية فيما يرتبط بتحديد مقوماتها وأطرها التصورية. فهي تتخذ عدة مسارات لتعميق أبعاد

obeikandi.com

مشكلة التدرج الطبقي والطابع الغالب على هذه النظرية ينحصر في النظرة إلى الطبقة ككل وأثرها في بقية الطبقات التي تكون البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع وهذا يبعدها عن تصور الصراع الذي قد يحدث داخل الطبقة إذا تركز الصراع بين الطبقات فقط. حيث كانت تلك أفكار محورية في آراء ماركس (الصراع بين الطبقات ، استغلال طبقة لأخرى ـ تصور تاريخ كل مجتمع على أنه تاريخ الصراع الطبقي)[31].

مفهوم الطبقة في نظرية الصراع:

تحدد نظرية الصراع الطبقة عن طريق الدور الذي يلعبه شاغلوها في عملية الإنتاج والتمايز في الأوضاع الاقتصادية ، فالتعريف الماركسي للطبقة يفسر على أساس أن نسق الإنتاج الاجتماعي يتحدد تاريخيا ، وأن لكل طبقة ما يفسر دورها في التنظيم الاجتماعى للعمل. حيث يشبه المجتمع في جميع أنواع النظريات الاجتماعية بالكائن الحي فى بعض الأحيان ، وتستخدم الماركسية استعادة البناء لتوضيح تركيب المجتمع فتصوره على أنه يتكون من بنية تحتية وفوقية ، وتشبه التفاعلية الرمزية المجتمع بالمحادثة وهي مرحلة تعتمد على ملكة الخيال لكنها تزداد فيها الدقة[32].

ويمكن تعريف الطبقة من وجهة نظر ماركس في نظرية الصراع أنها تقوم على الآتي[33]:

1. وجود جماعة من الناس تتشابه من حيث المكان الذي تشغله في نسق الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي.
2. وتتشابه في الدخل والمنزلة وأسلوب الحياة.
3. كما تتشابه من حيث نصيبها في ملكية وسائل الإنتاج.

نظرية التوازن:

تؤكد تلك النظرية على أبعاد الطبقة الاجتماعية وعدم قصورها على عامل واحد أو عامل معين. حيث يحدده "ماكس فيبر" مثلا ـ الطبقة في ضوء الاقتصاد والمكانة والقوة من جانب وينفي أهمية الصراع بين الطبقات أو داخل الطبقة من جانب آخر وذلك رغم أنه يرى أن السلطة قد تكون مغتصبة قبل أن تتحول إلى سلطة شرعية ، وعلى ذلك فهو يؤكد على توزيع الشهرة والمنزلة بين أعضاء مختلف الطبقات مؤكدا على المكانة الاجتماعية بصفة خاصة[34].

ويختلف "ماركس فيبر" عن "ماركس" من حيث عدم اعتماده على العامل الاقتصادي وحده كمحدد للطبقة ومن حيث إهماله للصراع بين الطبقات.

مفهوم الطبقة في نظرية التوازن:

ترى نظرية التكامل أن الطبقة لا تحدد عن طريق العامل الاقتصادي وحده ، وترى نظرية التكامل أن الطبقة تقوم على المهنة والاقتصاد وتوزيع الحقوق والواجبات والقيم والممارسات والمعايير.

ويمكن تعريف الطبقة في ضوء نظرية التكامل أنها تقوم على [35]:

1.تحديد الطبقة عن طريق أبعاد متعددة مثل الاقتصاد والمكانة والقوة والبعد السيكولوجي.

2.عدم التأكيد على الصراع الطبقي.

ويلاحظ أن أسس هذا التعريف تركز على تقييم المكانة حيث يتفق معظم مفكري نظرية التكامل على أن المكانة الاجتماعية هي الدعامة الجوهرية في الوجود الطبقي.

2- رؤية محمد عفيفي مطر لنظريات التغيير الاجتماعي:

يرى محمد عفيفي مطر في حال المجتمع أن هناك تصورا بنيويا ضمني لفكرة السبب[36]. "فالسبب لا يكمن في حادث بعينه أو شيء ما بل يكمن في ترتيب معين للعلاقات ويمكن النظر إلى هذه العلاقات كمؤطر أو مشكل لآلية سببية"[37].

ومن ثم فإن هناك تساؤلا يطرح نفسه وهو كيف يمكننا معرفة ما إذا كانت نظرية ما صائبة أم خاطئة وهو السؤال الابستمولوجي المهم وليس هناك جواب قطعي عليه ، لكننا نستطيع التمييز بين تفسير أكثر كفاية أو أقل كفاية تقدمه هذه النظرية أو تلك، ومثل هذا التمييز ليس عملا بسيطا إذ إنه يتضمن مجموعة من النواحي التي تختلف من شكل نظري لآخر ، على أننا يجب أن نتذكر دائما أننا نعيش في عالم لا يعطينا إجابات نهائية وقطعية ، فمثلما يتغير هذا العالم ، ويصبح مكانا مختلفا عن ذي قبل ، كذلك تتغير النظرية التي هي وسيلتنا لفهم ذلك العالم[38].

وبالتالي فإن عوامل ونظريات تغيير المجتمع غير ثابتة وهي بذلك متجددة ومتحركة. ولها أسباب متعددة تتعلق بطبيعة المجتمع [39]. فهناك عدد من المعايير نستطيع على أساسها أن نحكم على تلك العوامل أو النظريات التي تتحدث عن المجتمع. فالنظرية الأفضل هي تلك التي باستطاعتها أن تحدد بصورة تفصيلية أكبر العمليات السببية الفاعلة والمواقف التي تعمل فيها تلك الآليات السببية[40].

وعلى ذلك فإن هناك العديد من الأسباب الفاعلة التي يمكن أن تعمل على تفعيل عملية التغيير الاجتماعي يطرحها خطاب محمد عفيفي مطر كالآتي:

أولاً: يعطينا المشروع الشعري لعفيفي مطر علاقة جدلية بينه وبين مجتمعه الذي استطاع بوجدانه أن يؤسسه ويصيغ مفهوما جديدا يعرض رؤيته ومواقفه الخاصة ، حيث اكتشف أثناء قراءته التاريخية أن هناك علاقة بين تقدم الأمم وامتلاكها السلاح ، فقد وجد أن مواقع الأفراد والشعوب والأمم وكافة المجتمعات على سلم المعرفة والحضارة والديمقراطية إنما تتحدد حسب مواقعها من أعماق السيرة الذاتية للسلاح اختراعا وصناعة وامتلاكا[41].

ثانياً: إن انتشار الطغيان والانحطاط في أمة ما يراهما دليلا على وقوع السلاح "في قبضة الاحتكار ولا عقلانية الصفقات السرية والقتل المأجور والارتزاق بتجارة الدم والهزائم الشاملة"[42]. ثم يضع تساؤلا يوحي بحزن كبير "بكم ولقاء أي شيء تخلت شعوب وأمم عن سلاحها وباعت ملمس المعدن المصطفى"[43].

العوامل الفاعلة للتغيير الاجتماعي كما يحددها خطاب مطر الشعري:

يمكن القول بأن هناك عوامل للتغير كالعلم ، وثورة الاتصال والتقنيات الحديثة ، والعقائد ....الخ ، بالإضافة إلى هذه العوامل يبلور مطر أهم عوامل التغيير فيما يلي:

3- عوامل التغيير الاجتماعي في خطاب عفيفي مطر الشعري:

تتعدد الكثير من عوامل التغيير الاجتماعى في المجتمعات كقيام ثورة وتغيير نظم الحكم وتأثير الطفرة العلمية وثورة الاتصالات والتقنيات الحديثة والانفجار المعرفي كما تلعب العقائد دورا بارزا في عوامل التغيير كما أن ظهور بعض الشخصيات المؤثرة لها دور في تلك العوامل فضلا عن قيام حرب أو حدوث غزو....الخ .. ويبلور محمد عفيفي مطر أهم عوامل التغيير الاجتماعي فيما يلي:

أ- الإحساس بالنهاية:

يرى عفيفي مطر أن أفراد المجتمع يمارسون الهروب من إحساسهم بالنهاية والجزع الملازمين لعصفور تشتعل أجنحته ويزيد اشتعال النار مع حركات الأجنحة طلبا للهروب[44]. وتتأكد تلك الدلالة عندما يقول:

هجرتني موسيقا الأفلاك
فهربتُ إلى ليل الأسماك
ودخلت البحر الأبكم والأغوار
فتراكم فوقي الموجُ ، هربتُ إلى الأشجار
عصفورا مشتعلا بالنار
فتهدَّم فوقي سقفُ الهاوية الزرقاء.

من قصيدة: **"عقم الاخضرار والتجسد"**[45].

ب-انتشار حالات العذاب وكثرة المحن:

فالمجتمع كما يراه عفيفي مطر يعيش حالة من حالات العذاب ودوار محنة، بل أنه موت مقيم ، ويترتب على ذلك أن تكون الجراحات هي قطوفة الدانية:

هي الأحوالُ ومقاماتُ العذابِ ، محنة يغلي
دمُ القلب بها وتحترق اليد ،
فالجراحاتُ يتفتَّحْن قطوفًا دانيةً من مواهب النعمة
وأعطيات الإرادة الطيبةِ والانتظارِ السمْح الرحيم
والموتُ صديقٌ تتقادَمُ بيني وبينه المَواعيدُ تشتدُّ
وشيجةُ الملاعبة وخيوطُ المرح المشاكس.

من قصيدة:"امرأة تلبس الأخضر دائما ورجل يلبس الأخضر أحيانا"[46].

جـ-كون الاستتباب مبررا للاستبداد:

عندما تسيطر على المجتمع شمولية الإحساس بالرعب والخوف والتوجس الذي يسيطر على الناس وتملأ حياتهم وتفيض على الشوارع كلها[47] حتى يصير المجتمع سجنا كبيرا لبؤسه وهوانه طالبا بعد ذلك إصلاحا يرى فيه احتراما لآدمية الإنسان الذى يحيا حياة حرة كريمة فقد صار الاستتباب مبررا للاستبداد:

تخرج من دفاتر الأعمالِ والأقوالْ
أشباحُها المرْصُودَةْ
ترفع لي رؤسَها المجوَّفَةْ
أمارسُ الدفاعَ والموتَ ، تمارسُ الأشياءْ
طقوسَها الليْليَّةَ المكثَّفَةْ :
كلُّ جدارٍ معبرٌ ، كلُّ زوايا الأرْصفَةْ
أقدامُ شرطيٍّ يسيرُ سَيرَه المنتظما
دخينتي تصبح في أصابعي المرتجفَةْ
جرْحًا ومُديَةً وقلمًا ونارُها دما
دخانُها يصبح خيمةً معْقودَةْ
يصطفُّ فيها البشرُ المدججونَ بالعيونْ.

من قصيدة" سهرة الأشباح"[48].

د-زيادة حدة الطغيان:

حيث يدفع الطغيان المجتمع إلى زيادة حدة صلابته في مواجهته ولتغيير هذا الطغيان غير المحدود والذي له قدرة على تشكيل الأذواق وطرق التفكير لمجتمع تنعدم فيه روح التعليم والتربية الثقافية القادرة على الوقوف ضده فإن المجتمع سوف يمضي غير عابئ بالخوف لمواجهة هذا الطغيان:

مُسْتَجمعًا مملكتي الخفيَّةْ
وارتعشتْ في جسدي مواسمُ القطافْ
وانفجرتْ خليّةً خليَّةْ
تَحَجَّرَتْ وارْتَعَدَتْ مفاصلي من خوفِ أن أخافْ.

من قصيدة: "سهرة الأشباح"[49].

هـ-انقسام الأمة في المجتمع إلى أمتين:

إذ تنتشر الرأسمالية في كل مكان فيسود العمل المأجور وتنقسم كل أمة إلى أمتين إحدهما للملاك وأصحاب رؤوس الأموال والأخرى للطبقة العاملة والكادحين عامة فتبدو تلك الرؤية الجدلية. فطرفا الصراع موجودان ، فوجود طرف وتحققه يعتبر نفيا تاما لوجود الآخر وضامنا لتواريه عن الساحة:

هو الماء يشتعل الآن في النهر .. كيف
النَّجَاءُ لكم أيها السابحون مع الماءِ أو ضدِّه
والمراكبُ تهوي مفكَّكَةً (ليس من عاصمٍ)
والخطى غرقٌ
والمسافةُ بيني وبين بلادي وعرشي
دمٌ وتماسيحُ النار !!

من قصيدة: "فرح بالنار"[50] ديوان رباعية الفرح.

و- تعدد صور الظلم وانتشاره :

وعندما ينتشر الظلم في أركان المجتمع تكون الفجيعة الكبرى فلابد من المواجهة بعد الرصد ، فيرى عفيفي مطر كثرة المراقبين الذين يتفننون في تأويل الأفكار ومحاكمتها ، فالأرض سكنت بليل طويل ، "الظلم" قد أسكتت تلك الأرض ، والأرض هنا كناية عن الظلم الذي طال أمده وتعددت صوره فنصبح مدركين لخطورة (سكوت الراصد) وهو الشاعر على هذا الظلم:

أرى عيونَ الشرطة السرِّيَّةْ
تلمع من وجهٍ إلى وجهٍ ،
وتكسب الوجوهَ في الشوارع الخلفيةْ
كلُّ قفًا وراءَه عينان تخْرقان ظلمةَ النخاعِ
تسألان عن هواجسِ الهُوِيَّةْ
.....
كلما فكرتُ في الأرض التي أسكَتَها الليلُ الطويلْ
وانقسامي كلما أبصرتُ في الأعين تاريخَ الجراحِ الرّاعفَةْ
شَدَّني وجهُكِ يا طفلةَ روحي الواجفةْ
شدني ـ في فمك الضاحك ـ طعمُ الأرغفَةْ.

من قصيدة: "سهرة الأشباح"[51] ، ديوان والنهريلبس الأقنعة.

ز- بحث المطحونين عن معنى لحياتهم:

فهذه تركة يحملها الشاعر على كتفيه ، هذه التركة التي جعلته في حالة دفاع عن المطحونين متشبسا بأسطورة الفرد المستقل والمبدع كامل الحرية الذي لا يرغمه مجتمع تحكمه ضغوط الإنتاج من أجل السوق وتغمره أضواء النيون ، والسوق لا يرحم إذ يقذف خارجه بملايين المهمشين والضائعين والباحثين على معنى لحياتهم فقد ضاق العالم واتسع فقط للعابثين وبذلك صار العالم ضيقا مثل القبر مترا في مرتين:

العالم مترٌ في مترين
والشمسُ اسودَّتْ .. حطت حجرًا في العينين
وأنا أصرخ في جسدي ـ التابوت
وأرى وجهي المربد
ملهوفا ينشع في حجر أسود

وأرى صوتي المرتد
كفنًا حول القلب وقيدًا في الرسغين.

من قصيدة: "من كتاب السجن والمواريث"[52] ديوان الأرض والدم.

حـ-الاغتراب في المجتمع:

وتشغل محمد عفيفي مطر رؤيته التي تشكل مفتتح خروجه ومجتمعه من الحالة السائدة والتي تلقي بظلالها على كل أركان الحياة في المجتمع ، فالبحث عن خروج دائب هو شاغله ، فهو غريب في مجتمع يعيش أيضا غريبا ، ومقاومة هذا الاغتراب تتطلب منه صياغة حياتية جديدة ، تلك الصياغة التي تنتصر على كل معالم الزيف والضياع ، ويبدأ فتوحه:

وضعتُ كفيَّ على ثديها
فناولتْني خريطة أبدأ فيها الفتوح
وناولتني بيرقا للموت (أو للقيامة ؟)
قبلتها قبلة للسر، قبلتها للتعارف
مدت يديها
وصارت ما بين كفيَّ قوسا عصيَّةً مشدودة.

من قصيدة: "كتاب المنفى والمدينة"[53].

وبعد هذا العرض السابق نخلص إلى أن محمد عفيفي مطر قد طرح عدة عوامل فاعلة في عملية التغيير الاجتماعي وذلك باختياره تعدد الأصوات كنزوع انتقادي وديمقراطي عميق يرفض المونولوج كسلطة واحدية مطلقة استبدادية ، وتظهر اللغة الشعرية لبنية حوارية تعبر عن علاقات اجتماعية متعددة المعاني والأشكال وتشكل تواصلا بهذا المعنى ، حيث يتخلق أدب ينفي الاغتراب ويخرج عن أقانيم سوق الصناعة الثقافية ومعلباتها ، وبالتالي تتحقق جوانب تربوية متكاملة ، هذه الجوانب جديرة بتحقيق ذاتها فتنفجر

الأسئلة ويتم شحذ روح النقد وجعل التساؤل مشروعا. التساؤل عن كل شيء لا يستثنى شيئا أو يوفر أحد من السياسة للعلاقات الاجتماعية ومن القيم السائدة لنمط العيش ، والشاعر بذلك كما يرى عفيفي مطر مطالب أن يكافح من أجل تربية يتسع فيها هامش التلقي ويجتاز الحدود المرسومة إلى كافة الجماهير ليهز عروش الظالمين في وسط ركود الحياة السياسية في البلاد وانشغال المثقفين بقضايا جزئية وصغيرة وصراعاتهم المريرة.

ومن ثم فإن عفيفي مطر يعجل الانتظار ، فتقترب منه أرضه التي يعيش غريبا فوقها ، فقد بعدت عنه لكنه قريب منها ، فهذه الأرض قد صنعت من سمرة وجهه وسيحملها معه في أي مكان لتكون كلمة سره للاستقرار[54]. كما أن محمد عفيفي مطر يؤكد على أن مواجهة المطروح أمر حتمي. حيث يصبح على المجتمع كله أن يتفق على أن الإصلاح وتدارك الأخطاء وإيقاظ الضمير العام مسئولية جماعية تضامنية[55]. وبذلك تكون بلادنا البعيدة قريبة منا.

ثالثا: الثقافة والمجتمع:

يتطلب الاستقلال الوطني استقلالا ثقافيا كما أن الحفاظ على الهوية ليس مطلبا قوميا فحسب بل يعد مطلبا تنمويا يتصل بتوفير الشروط اللازمة للتنمية عموما ولكن الثقافات الأجنبية تؤثر علينا من كل صوب كما تؤثر علينا سائر أنماط حياة الغرب عامة[56].

ويرى عفيفي مطر أن الاستقلال الثقافي لا يعني القطيعة مع الثقافات الأخرى الناجزة التي تبني الأمم والحضارات ، وذلك في إطار ديناميكية التغيير والتجديد التي تتأصل في عمق العقلية الحديثة لأن الثبات قانون جوهري للعقلية التقليدية[57].

1 - أنواع الثقافة:

وعلى ذلك يمكننا التمييز بين نوعين من الثقافة[58]:

- ✓ **النوع الأول**: ثقافة ديناميكية مرنة تتميز بقدرة عناصرها على الحركة والتوالد والانتشار خارج إطارها الزماني والمكاني وهي قادرة على الإقناع والتحري والمجابهة وتلبية حاجات الأفراد.
- ✓ **النوع الثانى**: هي ثقافة تقليدية جامدة متصلبة وذلك لانعدام الروابط الوظيفية بين وحداتها وعناصرها ، وفي مضامين هذه الثقافة التقليدية نجد الدعوة إلى تمجيد الماضي وافتقار الحاضر والتخوف من المستقبل وهذه الخصائص تنسحب على ثقافتنا العربية السائدة وتعبر عن حالتها.

ويبلور زكي نجيب محمود أزمتنا الثقافة كالآتي[59]:

"فماذا يقول المؤرخ عنا؟ إذا ما انطوى بنا الزمان وأصبحنا ماضيا يروى ؟ ماهى الصفة أو الصفات التي تتميز بها حياتنا الثقافية الراهنة ؟ والتي يمكن لمؤرخ المستقبل أن يميزنا بها ؟ إنه ينظر إلى ساحتنا الفكرية فإذا هي جماعات متفرقة هدفا ومنهجا لكل جماعة فيها نجواها لكنها لا تتناجى كل معا إلا في الظاهر الذي لا ينفذ إلى الأعماق".

وفي ظل تلك الظروف تصاعدت حدة الإرهاب في المجتمع ، ففي كل محاولات تسييس الدين أو تدين السياسة يبرز اتجاه لاتخاذ أسماء تستهوي قلوب العامة وتمنح أصحاب هذه المحاولات مساحة من التستر بصحيح الدين لتضليل الناس واستبعاد مخالفيهم من ساحة الإيمان[60]. وقد أطلقت على هذه الجماعات مسميات عدة: مثل الأصوليون ، السلفيون ، التيار الإسلامي....الخ، وقد تصاعدت موجة الإرهاب في مصر في الثمانينيات من القرن الماضي وما بعدها بقليل لتطال رموزا سياسية مثل (رفعت المحجوب) ورموزا فكرية (فرج فوده) ورموزا أدبية (نجيب محفوظ) وغيرهم. والإرهاب في كافة صورة يعد

نتيجة حتمية لجمود الفكر ويسهل الاتفاق على أن الإرهاب وجمود الفكر يمثلان عقبة هامة إن لم تكن أهم العقبات التي تعترض حركة التنمية في مصر في كافة صورها سواء من حيث التنمية الاقتصادية أو الثقافية أو التنمية الاجتماعية عامة[61].

2 - تغييرات في النظام الاجتماعي:

وقد اعترت النظام الاجتماعي في مصر عدة تغييرات تمثلت في الآتي:

- ✓ اتساع حدة الفوارق بين الطبقات ، تركز الثروة في أيدي فئة قليلة، اتساع القاعدة التي تضم الغالبية الفقيرة. فقد ظهرت بعض السلوكيات والممارسات التي أثارت حفيظة الجماهير كإغراق الأسواق بالسلع المستوردة التي تثير لعاب الاستهلاك وتشيع الترف والتي كانت ثورة مضادة للرموز والفصائل الثقافية والدينية المستقرة في نفس الشعب المصري[62]
- ✓ وتساعد ظروف المجتمع وطبيعة القيم السائدة وتوجهات النظام السياسي وتطور اتصالاته بأعضاء جماعات التطرف تساعد مباشرة على خلق مناخ الإرهاب والتطرف[63].

ومما لاشك فيه أن التطرف يساعد بشكل أساسي على تغيب العقل ومصادرته وبالتالي هزيمته ، الأمر الذي يقود إلى نوع من جمود الفكر وعدم الاستقرار الثقافي.

3- مفهوم الثقافة:

وهذا بطبعه سوف يقودنا إلى التعرف على مفهوم الثقافة قهرا للجمود الفكري وعدم الاستقرار السياسي. والواقع أن مفهوم الثقافة يشكل في حد ذاته إحدى الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على تحقيق الكثير من جوانب التقدم والتطور الاجتماعي ، ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى ما ينطوي

عليه هذا المفهوم ذاته من عناصر داخلية، فالسمة أو **العنصر الأول** الذي تتسم به فكرة الثقافة هي سمة العالمية: وذلك بمعنى أن كل بني البشر لديهم ثقافتهم الخاصة ولا تعرف مجتمعا إنسانيا يخلو من الثقافة بغض النظر عن مستواها أو درجة رقيها أو تخلفها.

العنصر الثاني: فهو عنصر التنظيم ذلك أن كافة الثقافات تظهر درجة معينة من التماسك الداخلي يجعلها تبدو كما لو كانت بناء متكاملا يحوي عناصر ثقافية يربطها معا نسيج هذا البناء.

العنصر الثالث: أن الثقافة تعترف دائما بقدرة الإنسان على الإبداع والابتكار ، فكل ثقافة هي في حقيقة الأمر نتاج لجهود الإنسان ومشاعره وأفكاره(64).

وإذن فمفهوم الثقافة يجعل من اليسير فهم واستيعاب كافة أنماط السلوك بوصفها تشكل نسقا جمعيا ابتكره الإنسان عبر تاريخه الطويل ويعاود ابتكاره باستمرار بحيث ننظر إلى هذا النتاج البشري في خصوصيته كإسهام فريد يستحق الاحترام والتقدير بحكم ما له من صدق دعمته تجربة إنسانية معينة هي تجربة الجماعة أو المجتمع الذي أسهم في ابتكاره.

4- محمد عفيفي مطر ومفهوم الثقافة:

يرى محمد عفيفي مطر أنه لا يوجد في تاريخ البشرية منذ الإنسان الأول فترة خلت من النشاط الثقافي ، والثقافة بشكل عام هي نوع من تبني القيم التي تحث على النماء الاجتماعي وتعلمها للناشئة ويتم القياس بها كمعيار لما هو مرغوب ومحبب ، ولكن هذه الرغبة ليست ذاتية بل مقيدة بمتطلبات المجتمع. إلا أنه ليس كل فرد في المجتمع ينخرط بنفس الدرجة أو المعيار في الحياة الاجتماعية ويتقبل الثقافة السائدة أو يمكن أن يستوعب بشكل صحيح القيم الثقافية المبثوثة في مجتمعه(65).

ويرى عفيفي مطر أن مفهوم الثقافة يختلف باختلاف كافة السياقات التاريخية وغيرها ولها قدرة التأثير والتأثر.

ومفهوم الثقافة يتأثر أيضا بما يطرأ على حياة الإنسان حتى يصير جزءا منها بما يؤدي من تغيير واضح في الحياة وينتج عن ذلك تغيير في الثقافة.

5- دور الثقافة في تشكيل عقلية محمد عفيفي مطر:

تشكلت ثقافة عفيفي مطر من معطيات عدة حيث بدأ من الصفر على حد قوله: "كان الطبيعيون الأوائل قد شكلوا رعيل الشعراء الفلاسفة العلماء منذ طاليس وحتى بزوغ الشمس الإغريقية الجبارة بين الشوارع والمسارح ومجالس التمثيل الشعبي وبيوت الأصدقاء باسم "سقراط" العظيم ومن حوله الطابور الخامس الأسبرطى من السوفسطائيين الهدامين العدميين وهم جميعا يخلقون ندوة هائلة شاملة ومجمع حوار وجدل ومماحكة ليعرف الفتى الريفي في طوفان الاشكاليات الصعبة حول وحدة وواحدية المبدأ الطبيعي الأول وحل إشكاليات التعدد والكثرة وثبات الوجود وحركة الموجودات وتغيرها ، ويقف مبهورا أمام هيراقليطس وناره الكونية ونهره الذي لا يكون هو هو أبدا لحظتين ولا ينزله المرء مرتين"[66].

كما تتشكل ثقافته من الأبعاد الفلسفية والصوفية والتي تجلت في معظم أعماله "ثم ينتقل إلى المنزع الصوفي والفكر الرياضي الموسيقي وفكرة التطهير والتناسخ والتقوى الفلسفية عند فيثاغورس"[67]. كما أتم دراسة تاريخ الفلسفة "وألم بالخطوط الكبرى والمدارس والمذاهب التي تكون الهيكل العظمي لتاريخ الفلسفة الإغريقية والعصور الوسطى وعصر النهضة حتى بزوغ الفلسفة الحديثة على يدي "ديكارت وبيكون وكانط"[68].

كما أنه تمكن من الإلمام بالفكر الفلسفي الإسلامي "مع إلمامه معمقة بتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ودور المتكلمين من معتزلة وأشاعرة

وتصوف إسلامي ومن دور المشائين والفلاسفة من "الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا" وعلاقة الفكر الإسلامي وتأثيراته الكبرى على الفكر اليهودي والمسيحي"[69].

وقد شكلت تلك الثقافة الواسعة للشاعر موسوعيته الإبداعية في خطابه الشعري، حيث انفتحت أمامه الأبواب واسعة على الفكر الفلسفي مذاهب ومدارس وتيارات ومفكرين من أقدم آثار الحكمة الشرقية واليونانية حتى المعاصرين الأحياء في أرجاء العالم في تلاطم العقول وصدام الثقافات وتلاقحها ...الخ، وقد جعلته تلك الثقافة في استقلالية إنسانية تامة وتكامل بعيدا عن الأهواء وتوافه الأمور مدركا دوره الحقيقي كشاعر في أمته ومثقف موهوب فخلق رؤيته العامة للعالم أو المعرفة بالمعنى الشامل.

رابعا: عفيفي مطر وعلاقة التربية بالمجتمع:

1- النظرية الجبرية والنظرية الطوعية:

يرى بعض علماء الاجتماع أن المجتمع يقوم بتشكيل الإنسان وفق نظريته الثقافية حيث يؤكد ذلك "دوركايم" فهو يرى أن المجتمع مصدر لتشكيل الفرد وقولبته كيفما شاء ضمن أطره الثقافية (النظرية الجبرية) ومن ثم فقد أصبحت دراسة العلاقات الاجتماعية وتفسيرها إحدى مهمات علم الاجتماع[70].

كما يرى بعض علماء الاجتماع أن الإنسان ركيزة الحياة الاجتماعية، ويؤكد ذلك "فيبر" حيث يرى أن الفرد يشكل المجتمع بإرادته الواعية (النظرية الطوعية) وبذلك فإن فعل الإنسان وتأويل بواعثه وفهم أهدافه ومقاصده هي إحدى مهمات علم الاجتماع[71].

وعلى الجانب التربوي يرى كثير من الباحثين في ميادين علمي النفس والاجتماع أن التربية هي التي تشكل المجتمع، فإذا أرادت المجتمعات المتخلفة

تشكيل المجتمع وفق نمط معد مسبقا وإلحاقه بركب الحضارة والتقدم والرقي – وهنا يطرح الغرب نفسه كنموذج مركزي للحضارة والتقدم والرقي – ما عليها سوى استيراد النموذج التربوي والتعليمي الأوربي أو الأمريكي أو انتهاج نموذج يحاكيها وتطبيقه في بلدانها[72].

وبذلك فإن هذا المشروع التربوي المستورد يؤدي إلى فشل المشروع التربوي في البلد التي قامت باستيراده لأنه اعتقاد روج له الغرب لخدمة مطامعه بالهيمنة والسيطرة ، هذا الاعتقاد الخاطئ جعل الدول العربية تعتمد الوسائل التربوية المعتمدة في الغرب ظنا منها أن هذا التقليد للغرب سوف يؤدي بالضرورة في النهاية إلى تشكيل المجتمع العربي وفق أنماط الحياة السائدة في الغرب.

إن نموذج التربية الغربية قد سحر العقول العربية والإسلامية بالفاعلية المذهلة وكان لهذا السحر تحديث همجي خال من التهيؤ والتمثل وكان الثمن المدفوع تفسخ المؤسسات التي أسهمت في هذا التحديث ومن ثم فقدان الهوية[73].

وقد غاب عن القائمين على السياسات التربوية العربية أن التربية المعتمدة في الغرب هي تربية أصلا شكلها المجتمع الغربي، غايتها المحافظة على أنماط الحياة السائدة لديه ، وبالتالى المحافظة على منجزاته ومكتسباته التي حققها ، وهذه التربية إذا كان اعتمادها من قبل الغرب مبررا لأنه حقق تطورات ومكتسبات على مستويات متعددة ومختلفة وبالتالي الحفاظ على وضعية المجتمع بتطوراته وانجازاته يستدعي بالضرورة اعتماد هذه التربية[74].

فإن اعتمادنا نحن العرب لهذه التربية والتي اتصفت بالتربية التلقينية مثل لنا كارثة، ذلك لأن هذه التربية التلقينية حافظة على نمط التخلف السائد في المجتمع العربي المعاصر وبالتالي تحولت التربية إلى حامية لهذا النمط

المتخلف وجزء من بنيته وهنا يكمن الفشل الحقيقي للمشروع التربوي العربي[75].

2- غاية التربية العربية:

وغاية التربية لدينا نحن العرب مختلفة اختلافا بينا عن غايتها لدى الغرب ، ففي حين أن غاية التربية لدينا نحن العرب يجب بالضرورة أن تتجسد في تفكيك وتحطيم بنية نمط التخلف السائد في المجتمع العربي المعاصر لأنه نمط يعيق تطور المجتمع العربي فإن غاية التربية لدى الغرب عموما هي المحافظة على المستوى الحضاري الذي وصل إليه ، وهذا ما يجعلنا أمام حقيقة وهى أن المجتمع هو الذي يشكل التربية ويحدد ملامحها النوعية تبعا لبنية نمط الحياة السائدة في ذلك المجتمع[76].

3- رؤية محمد عفيفي مطر للعلاقة بين التربية والمجتمع:

ويرفض محمد عفيفي مطر نموذج التربية الغربية ، ويرى أن التربية نتاج المجتمع ولابد أن تكون نابعة من هويتنا غير رافضة لإنجازات الآخر التي تحقق الرفاهية والتقدم وبناء الإنسان ، كما أنه يرفض أن يكون النسق التربوي نسقا تابعا لما يتم في المجتمع[77].

ويصف عفيفي مطر مدرس التاريخ الذي شكل وجدانه بتربية معرفية وجمالية وفلسفية وفنية: "لم يكن يكبرنا إلا لسنوات قليلة فكأنه واحد منا ونحن نصغي بنشوة المعرفة إلى درسه عن عصر النهضة الأوربية ويفاجئنا بعرض مطبوعات ومستنسخات باهرة من فن دافنشي ورسوم ميخائيل أنجلو وروفائيل وكانت المرة الأولى التي أرى فيها عبقرية الفن والألوان والتصميمات وموضوعات اللوحات والتماثيل وارتباط كل ذلك بمفاهيم النهضة والنزعة الإنسانية ونشأة الآداب والفنون باستعادة واستلهام العصور الكلاسيكية ومثلها الجمالية وإنجازاتها الفكرية". التي تنبع من المجتمع وتكون

من نتاجاته، وتتضح رؤية عفيفي مطر التي عبر عنها في هوامش التكوين ويتابع تأكيد ذلك بقوله: "لا أستطيع الآن استرجاع حقيقة ما عصف بي من نشوة عليا جعلتني أرتعد وتشح الدموع من عيني وأنا أتابع ما احتشدت به مقصورة السكستين من لوحات الخلق والهبوط من الفردوس والطوفان وقصص الكتب المقدسة حول الأنبياء وصراع الخير والشر وعالم الملائكة والقديسين وكدت أصرخ وأنا أتتبع تفاصيل الطوفان. وقد تعلقت عيناى بامرأة تحمل وليدها ويتشبث ولدها الصبي بساقها وقد التفت اللوحة بالذعر والتطلع المرتعب وروح العاصفة المبللة وانفجار السماوات والأرض بالماء"[78].

ومن خلال ذلك يشير عفيفي مطر إلى أن التربية نتاج المجتمع وبالتالي فإن التربية لا تعمل من فراغ وهي تتأثر بالبيئة الاجتماعية القائمة بشتى أشكالها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[79].

وهكذا فإن المجتمع كان دوما على مر العصور يشكل التربية ويحدد ملامحها النوعية ذلك أن التربية القائمة في مجتمع من المجتمعات تتراءى وكأنها المعبرة في النهاية عن المستوى الحضاري الذي وصل إليه ذلك المجتمع ومن هنا تبدو المسئولية عن ذلك المستوى ويبدو تجاوزها السبيل الطبيعي لتجاوزه[80].

وإذا كان جوهر التخلف هو اللاتطورية فإن التربية المتشكلة في ضوء معرفتها ببنية نمط التخلف هي بالضرورة تربية ملامحها عقلية ونفسية بالدرجة الأولى ، وهذه الملامح العقلية والنفسية تهدف إلى بناء الفرد بناء متوازيا عقليا ونفسيا ، وبالتالي امتلاك الأدوات العقلية والنفسية التي تمكنه من تحطيم جوهر التخلف المتجسد بالعقلية اللاتطورية وهذا من جهة أخرى يكسب العقل العربي صيرورات تطوره ونمائه في عملياته المختلفة للانقلاب من لحظة تكرار ذاته وإعادة إنتاج مجتراته[81].

4- أنواع الملامح العقلية والنفسية للتربية:

- ✓ **التربية التقليدية** والتي تقوم على الحفظ والاستظهار وإعادة توليد النظام الاجتماعي وهي بذلك تدعم الثبات واستقرار الأوضاع لصالح الفئات المهيمنة والتي يهمها بقاء الحال كما هو عليه وبذلك فلا إبداع ولا تجديد ولا تحديث.
- ✓ **التربية النقدية الإبداعية:** وتنقسم التربية النقدية الإبداعية إلى ملمحين هما:

أ- ملمح التربية النقدية:

وتهدف التربية النقدية إلى تربية ملكة النقد لدى الأفراد أي القدرة على الحكم على الأفكار والتصورات والأحكام وتمحيصها لمعرفة مدى توافقها عقليا قبل اعتمادها. فالفكر النقدي الذي تسعى التربية النقدية تشكيله لدى الأفراد يمثل كبحا للاستغراق العرفاني في المنقول من خلال نقد كل تجربة وكل تصور أو فكرة أو معتقد يتعرض له الفرد، ومن ثم جعل العقل والعقل وحده هو فيصل الحكم وهذا هو بداية الطريق لتحرير الفرد العربي من أسر العقلية اللاتطورية التي تستغرق في المنقول من أفكار وأحكام وتصورات جمعية على عواهنها وبالتالي تعجز عن توليد الجديد وتبقيه ضمن قوقعة ما هو متداول ومعروف مسبقا.

وذلك لأن التربية هي الوحيدة القادرة على بناء المجتمع وتغييره وأن المدرسة الفعالة التي تفعل فعلها في الطفولة هي التي يمكن أن تنقذ العالم وليس الاقتصاد والسياسية[82].

ب- ملمح التربية الإبداعية:

التفكير الإبداعي هو في أساسه تفكير افتراقي (أو تغييري) متشعب يتميز بالبحث والانطلاق في اتجاهات متعددة أي يتميز بالتعامل بطرق ابتكارية وطريفة مع الرموز اللغوية والرقمية وعلاقات الزمان والمكان[83].

كما يمتاز التفكير المبدع (الافتراقي) بالأصالة والجدة وسلاسة الأفكار والمرونة والحساسية تجاه النواقص في العناصر المفقودة والقدرة على إتقان العمل ، ولم يعد الإبداع مقصورا حسب مفهومه التقليدي على إبداع إنتاج أدبي أوعلمي أو تقني...الخ ، إنما امتد ليشمل إلى جانب ذلك كل استجابات الإنسان وطرق تعامله مع المشكلات وإدارته للأزمات واتخاذ القرارات بطرق ابتكارية وأصيلة على جميع الأصعدة الحياتية العامة منها والخاصة ، النظرية والعلمية معا[84].

ويقف عفيفي مطر إلى جانب التربية النقدية الإبداعية حيث تقوم التربية التقليدية على تنميط وقولبة الأفراد ، وفي ذلك .. يقول عفيفي مطر: "كنت أقلب صفحات الأطلس العجيب (أطلس أكسفورد) ومع ذلك فإنني لم أكتشف زيف الدعوة مدفوعة الأجر والتي زحمت أجواء الثقافة والكتابة بسطوة نفوذها باسم "أنصار السلام" وشيوع المصطلح الذي كان يردد دائما هكذا "السلم والسلم العالمي" وكانت قصائدي المبكرة الأولى هراء يعيد إنتاج الهراء"[85].

وها هو حال مجتمعنا العربي بصفة عامة ومجتمعنا المصري على السواء ، نجد بطئا شديدا في عمليات التغيير وألفة أنماط وأساليب حياة لم تعد تصمد في وجه تيار العولمة الجارف وذلك لإنعدام العمليات الإبداعية. ولذا فإن مجتمعاتنا العربية تشعر اليوم وأكثر من أي وقت مضى بالقلق بسبب بطئها وعجزها وعدم قدرتها على التنافس بسبب ضعف البنية التحتية الثقافية والافتقار إلى الموارد التنظيمية والموارد البشرية المؤهلة حتى يمكننا التساوي في البنية الممكنة للدولة كافة قبل المضي في عملية العولمة[86].

ومقاربة الإبداع بحل تلك المشكلات تعد تطورا فرضته طبيعة العصر الذي نحياه حيث يتسم بالتطور المتواصل والمتلاحق تقنيا ومعلوماتيا مما يفرض

على الإنسان إيقاعا متغيرا ، وهذا بدوره يحدث ارتباكا في استجابات الإنسان تجاه التطور والتغيير وبالتالي تتوقف استمرارية التغيير والتطور على نوعية استجابات الإنسان مما حذا بالمقاربة بين حل المشكلات وطرق التعامل معها بالإبداع ، أي الاستجابة غير التقليدية والأصيلة[87].

ومن ثم فإن الشخصية المبدعة ذات العقلية التي اتسمت بالتطورية تحاول إبراز ذاتها الأصيلة ضد معطيات نمط التخلف السائد حتى تكافح ضد نمطتها عبر استقرار الذات الأصيلة وامكانياتها الدفينة رافضة الانصياع للقطيع[88]. فالشخصية المبدعة ذات التفرد تصبح شخصية فعالة عبر رفض النمطية المقننة وفق مستوى اتفاقي تقاربي (التقائي) محدد يفرضه المجتمع وعبر استفزاز الذات الأصيلة وتحقيق تفردها وتمايزها خارج قوالب التقنين التي يراد التقوقع بها[89].

والإنسان المبدع يستطيع أن يساهم في المحافظة على استمرارية الحضارة التي يتسم بها مجتمعه الذي يحافظ على تقدمه وازدهاره ، وذلك من خلال ثقافة متقدمة ترفض النمطية والتقوقع والخروج عبر فضاءات أوسع. فالحضارة تشير إلى مظهر ثقافي متقدم لدى شعب من الشعوب والذي تحدده درجة تقدمه مجموعة من الإنجازات في مجالات العلوم والآداب والفنون والنظم السياسية والاجتماعية ، وبينما تنشأ الحضارات الإنسانية وتتطور وتزدهر لدى شعب معين خلال فترة زمنية معينة من تاريخه إلا أنها معرضة للتدهور والاندثار، كما حدث للحضارة المصرية القديمة مثلا والحضارتين اليونانية والإسلامية أيضا ذلك على عكس ثقافات الشعوب أو المجتمعات المختلفة فهي وإن تغيرت عبر الزمن إلا أنها تتصف رغم ذلك بالاستمرارية ، إذ لابد في النهاية من أن يوجد نمط معين من الحياة يهتدي به الناس في مزاولة حياتهم اليومية سواء كانت بسيطة أو معقدة[90].

5- محمد عفيفي مطر وواقع المجتمع المصري:

والإنسان كما يؤكد البعض أنه يتشكل طبقا لظروف عصره تشكلا ظاهريا في أساسه والذي يعتمد على الاختلاف والتطور في العادات والتقاليد والعرف الاجتماعى ، أما التشكل الجوهري فلا يحدث بالبساطة التي نتصورها بدليل تلك الخصائص المشتركة والملامح الثابتة التي يتميز بها الإنسان على مر العصور والحقب[91].

وبرؤية متفحصة في ثنايا مجتمعنا المصري يشير عفيفي مطر إلى واقع المجتمع كما يراه هو[92]:

1. عدة جماعات اتخذت مسميات عديدة تشكلت نتيجة سياسة عصر الانفتاح وتضخمت الفروق بين شرائح المجتمع.
2. امتلكت بعض الجماعات عناصر التأثير في القرار السياسي باتجاهها نفسها وأصبح تأثيرها واضحا في التقسيمات الاجتماعية الأخرى التي أصبحت بؤرة التواترات الاجتماعية الفعلية والتي قادت إلى ما يسمى "بالتطرف".

وعندما يعالج عالم الاجتماع قضية مثل قضية تلك الجماعات فإنه يدرسها كظاهرة ذات خصائص معينة في العصر الذي يعيشه وربما تغيرت هذه الخصائص في العصر الذي يليه ، بذلك تتركز قيمة دراسته ـ بعد ذلك ـ أنها تسجيل للعصر وتحليل له يرجع إليه الباحثون في التسلسل التاريخي لحركة المجتمع.

أما إذا عالج الأديب الصراع الطبقي فإنه يبلوره ويكثفه لتجسيد حي وملموس للصراع المرتبط بجوهر الإنسانية نفسها ، لأن الوجود الحي للكائنات يعني الصراع في صميمه ، وليس بالضرورة الصراع النابع من الحقد والكراهية والمقت والتطاحن وإنما الصراع الدال على أن الحياة

الإنسانية تسير. ويشبه في ذلك الصراع الذي ينشأ بين دوامات النهر الواحد. فالشاعر أو الأديب يعالج الصراع الطبقي على أساس أنه الدليل الملموس للحركة الداخلية للأشخاص والانعكاس الواضح لصميم الحياة الإنسانية[93].

ولأن الأدب ذو المضمون الاجتماعي هو الأدب الذي يضيف إلى مجموعة القيم الحاصلة قيمة جديدة قد تلغيها أو تعدل منها ، فالأدب أحد "إفرازات" المجتمع ، أي أحد الأبنية التي تتأثر بعلاقات الإنتاج في المجتمع وتؤثر فيها.

6- المجتمع المصري والنظام العالمي الجديد:

وفي إطار التحولات التي يشهدها مجتمعنا المصري نجد على الجانب الآخر أن عالمنا الراهن يتميز بالتحولات السريعة المتلاحقة في الميادين العلمية والتكنولوجية والاجتماعية وانعكاساتها على العلاقات الاقتصادية والسياسية داخل كل دولة وفيما بين الدول وبعضها ، وقد لا نستطيع تصور مستقبل مصر في خضم هذه التغيرات السريعة الوتيرة وخاصة في إطار اتفاقية التجارة الدولية 1994 وأداتها منظمة التجارة العالمية دون أن نضع في الاعتبار حاضر مصر الآن وبعض ملامح الحياة المعاصرة في عالمنا الراهن[94].

ومن الانفجار العلمي والتكنولوجي الذي جعل العصر الذي نعيش فيه عصر انفجار المعرفة ، حيث صار التقدم العلمي يفرض نفسه على المجتمع البشري كل يوم[95]. فلم يعد أمامنا وقت للنظر للخلف.

وقد أدت ولادة النظام العالمي الجديد مع بداية التسعينيات من القرن الماضي إلى ردود أفعال متباينة ، فقد شهد العالم جملة من المتغيرات النوعية المتلاحقة ومازال يشهدها النظام الدولي والتي تعددت نطاق القوميات وتجاوزت حدود الدول والأقاليم.

ومن الشواهد الفريدة والنادرة التي شهدها العالم تمثلت في تفكك دولة عظمى واختفائها من التاريخ في الوقت الذي تابع فيه العالم ظاهرة تاريخية

أخرى بالقدر نفسه من الندرة وهي تعاظم نفوذ دولة عظمى أخذت في التفرد بالشأن العالمي ، فمع انحسار وتفكك الاتحاد السوفيتي وانشغاله بهمومه الداخلية كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحقق أكبر قدر من الانتشار العالمي وتحقق أكبر قدر من النجاحات والانتصارات السياسية والعسكرية وتستغل التحولات الدولية لتزيد من حضورها وصعودها كدولة وحيدة تتمتع بمواصفات ومقومات الدولة العظمى كلها[96].

وإلى جانب هذه التحولات بطابعها السياسي لا يمكن لأحد أن يتجاهل تأثير التحولات الاجتماعية والتاريخية لعصر بدأت ملامحه ترتسم على صورة عولمة جديدة تقطعت لها أوصال الوجود القديم وبدأ الكون يطل برائحة جديدة وقامة جديدة وصورة جديدة ، عولمة شكلتها وتعيد تشكيلها طاقة عقل إنساني متفجر بالإبداع التكنولوجي والاتصالي الذى حطم كل القيود وفجر أطر العالم القديم ووضع الإنسان في مواجهة تحديات جديدة دفعت في أعماقه روحا جديدة مفعمة بالحرية والإباحة بلا حدود ، وهذه هي المطارق التي بدأت تشكل روحا جديدة ووعيا جديدا ينفجر في كل ثنايا وجودنا الاجتماعي والإنساني[97]. وفي ظل ما تقدم فإن مجتمعنا المصري مازال ينظر لكل ما يحدث في العالم وهو مشدود برموز ومعاني (سفلية) ويصف عفيفي مطر ذلك بقوله[98]: "للمصرين وطن آخر يموج بالرموز والمعاني ويحتشد بسكانه السفليين والمنفلتين من ربقة الفهم وضرورات العادة ومستقرات التعليل ، هو وطن الضد والخيال والحرية ، وهو وطن الصدفة العمياء وجمال الشر وعشوائية الأرزاق بهبات العشق الممسوس ، أو الخيال المقتدر على شق الحجب ومعرفة الغيبات ، أو شفافية الأجساد المسكونة والأرواح المتحولة والمخلوقات المهجنة".

ويرفض عفيفي مطر تلك المعاني والرموز السابقة في ظل عصر تحولات لم يسبق له مثيل ، ومن ثم فإن التربية منوط بها محاولة الكشف عن زيف تلك المعاني والرموز ، ويضيف عفيفي مطر عن هذا الوطن الآخر للمصرين: "وطن تعني فيه عقدة الحبل أو تشابك أطراف الخرقة أو عثرة القدم أو رش الماء في الظلام أو الدخول المفاجئ إلى خلاء البيوت والطواحين وأماكن الراحة والاستحمام والمقابر ، آلاف المعاني والدلالات وآلاف التأثيرات والتحولات والعكوسات ، وطن تستطيع فيه الأجساد أن تتبادل الفعل والانفعال على البعد بالنوايا"[99].

7- رصد ملامح الفكر الاجتماعي في خطاب مطر الشعري:

وتتجلى ملامح الخطاب التربوي عند عفيفي مطر في فكره الاجتماعي في النقاط الآتية:

1. دراسة مكامن العنف والتعصب اللذين يمثلان تحديا تاريخيا للمجتمعات الإنسانية وتحليل ذلك علميا ويترتب على ذلك وقف حركة التراجع الحضاري العربي.
2. تأصيل قيم الحق والعدل والحرية وقبول الرأي والرأي الآخر.
3. تبني تربية تقضي على خطر إعادة إنتاج التعصب وغياب حقوق الإنسان.
4. الاهتمام المتزايد بتربية الأطفال منذ الصغر لأن ما يكتنزه الأطفال في طفولتهم يبقى يقظا في رشدهم وكهولتهم.
5. إن ترك مظاهر التعصب والعنف التي تتنامى عند الأجيال بفعل التربية المعاد إنتاجها تخل بمنظومة القيم الاجتماعية وتهدد حياة المجتمع.
6. تأصيل قيم التسامح في المجتمع وكافة القيم المعنية بتقدم المجتمع وفقا لروح التراث الإسلامي الخصيب كضرورة تاريخية تربوية ملحة.

7. إحياء القيم الإنسانية في دراسة التراث العربي الإسلامي وتحليله وتجديده من خلال ذاته ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.
8. جعل الفرد في إطار علاقات اجتماعية يتمتع فيها بوضع اجتماعي وانتشاله من التهميش والاستبعاد الذي فرضته التوجهات السياسية والاقتصادية الحالية حتى لا يزداد تهميشه واستبعاده في ظل الرأسمالية المعولمة.
9. تأكيد احترام حقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية جنبا إلى جنب مع الحقوق السياسية والمدنية باحترام حقوق العمل والتنظيم النقابي والتفاوض الجماعي.
10. احترام الكينونة الإنسانية لأفراد المجتمع والهوية الاجتماعية لهم.
11. العمل على جعل آليات التربية والتعليم والتكوين والاستثمار الرشيد للرأسمال البشري الدعامة المحورية للمسار التطوري وذلك لدور البشر الحاسم في عمليات التحديث والتغيير والإصلاح الاجتماعي.
12. العمل على تدعيم وبناء مجتمع مدني منظم وفاعل ومؤثر عبر تحاوره مع المجتمع السياسي وعبر وظائفه التربوية والاجتماعية المتعددة.
13. جعل التربية ـ وبشكل خاص ـ آلية ممنهجة للتحويل الاجتماعي وتحقيق الانتقال الإصلاحي في المجتمع ضمن مسار ديمقراطي واجتماعي عام ، وذلك بإعطاء الاهتمام لتلك الآلية ، وذلك مرتبط بأنواع الوعي والقيم والتوجهات والممارسات.

مراجع الفصل السادس

(1) سمير عبدالحميد القطب: المتطلبات التربوية ، مرجع سابق ، ص 79.

(2) حامد عمار: في بناء البشر(دراسات في التغيير الحضاري والفكري والتربـوي) ، مركز تنمية المجتمع العربي ، سرس الليان ، المنوفية ، 1964 ، ص 114.

(3) سمير عبدالحميد القطب: المتطلبات التربوية ، مرجع سابق ، ص 201.

(4) علـي خليـل أبـوالعنين: فلسـفة التربيـة الإسـلامية في القـرآن الكـريم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1984 ، ص 128.

(5) سمير عبدالحميد القطب: المتطلبات التربوية ، مرجع سابق ، ص 241.

(6) روجيه جارودي: كيف نصنع المستقبل ، ترجمة وتقـديم: منـى طلبـه ، أنـور مغيث ، طـ1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1999 ، ص 169.

(7) ماهر حسن: محمد عفيفـي مطـر: احتفاليـة الطمـي والخرافـة ، حـوار لمجلـة الثقافة الجديدة ، العدد (142) ، الهيئة العامـة لقصـور الثقافـة ، القـاهرة ، يوليو 2000 ، ص 77.

(8) عـزت قرنـي: إشـكالية الحريـة،عالم الفكر،المجلـد (22)،العـدد الثـاني، المجلـس الـوطنى للثقافـة والفنـون والآداب،الكويـت،أكتوبر/ديسـمبر1993، ص ص 188، 189.

(9) محمد أحمد عبدالحافظ: عرض كتـاب التربيـة إزاء التعصـب والعنـف فـى العالم العربي ، مرجع سابق ، ص 252.

(10) سليمان إبراهيم العسـكري: التعلـيم والثقافـة ـ العلاقـة الغائبـة ، مجلـة العربي ، العدد(490) ، وزارة الإعلام ، الكويت ، سبتمبر 1999 ، ص 21.

(11) إسماعيل زروني: الدولة وضرورة التنظيم الاجتماعي عند ابن خلدون ، مجلة إبداع ، العددان ديسمبر 99 ، يناير 2000 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص 128.

(12) عزت قرني: إشكالية الحرية ، مرجع سابق ، ص 188.

(13) حديث مطر للباحث 2002/4/15.

(14) حسن الإبراهيم: العرب والتربية في القرن الواحد والعشرين ، مجلة العربي ، العدد (379) ، وزارة الإعلام ، الكويت ، يونيو 1990 ، ص 26.

(15) سليمان إبراهيم العسكري: العرب والقرن الواحد والعشرون،مرجع سابق، ص 20.

(16) حسن الإبراهيم: العرب والتربية ، مرجع سابق ، ص 26.العدد (379) ، وزارة
الإعلام ، الكويت ، يونيو 1990 ، ص 26.

(17) روجيه جارودي: كيف نصنع المستقبل ، مرجع سابق ، ص 169.

(18) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات....) ، مرجع سابق ، ص 434.

(19) محمد عفيفى مطر: الأعمال الكاملة (من مجمرة البدايات)،مرجع سابق ، ص 50.

(20) المرجع السابق: ص 7.

(21) *Spiecer, E.H: Human Problems in Technological Change, New York, 1982, pp. 281-282*

(22) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات...) ، مرجع سابق ، ص 237.

(23) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه....)، مرجع سابق ، ص ص 13 ، 14.

(24) *Richard Ennals, et al.,: Information technology and Education the changing school, Ellis Harmwood Limited Chichister, 1986, pp. 14-22*

(25) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح....) ،مرجع سابق، ص ص 11، 12.

(26) المرجع السابق: ص 58.

(27) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح) ، مرجع سابق، ص ص 59.

(28) المرجع السابق: ص ص 64 ، 65، 60.

(29) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح....) ، مرجع سابق ، ص 65.

(30) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (أنت واحدها...) ، مرجع سابق ، ص 360.

(31) محمد علي محمد وآخرون: المجتمع والثقافة الشخصية (مدخل إلى علم الاجتماع) ، سلسلة عالم الاجتماع المعاصر ، الكتاب رقم (55) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985 ، ص 97.

(32) إيان كريب: النظرية الاجتماعية ، ترجمة: محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، العدد (244) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أبريل 1999 ، ص 46.

(33) محمد علي محمد وآخرون: المجتمع والثقافة الشخصية ، مرجع سابق ، ص 101.

(34) المرجع السابق: ص 101.

(35) المرجع السابق: ص 102.

(36) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(37) إيان كريب: النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 47.

(38) المرجع السابق: ص 49.

(39) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(40) إيان كريب: النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 49.

(41) محمد عفيفي مطر:أوائل زيارات الدهشة(هوامش التكوين)،مرجع سابق،ص65.

(42) المرجع السابق: ص 66.

(43) المرجع السابق: ص 67.

(44) محمد سعد شحاته: العلاقات النحوية ، مرجع سابق ، ص 141.

(45) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح من الوجه)، مرجع سابق ، ص 11.

(46) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (أنت واحدها...) ، مرجع سابق ، ص 271.

(47) محمد سعد شحاته: العلاقات النحوية .. ، مرجع سابق ، ص 153.

(48) محمد عفيفى مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات....) ، مرجع سابق ، ص 8.

(49) المرجع السابق: ص 9.

(50) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (احتفالات...) ، مرجع سابق ، ص 182.

(51) المرجع السابق : ص ص 10 ، 11.

(52) محمد عفيفي مطر: الأعمال الكاملة (ملامح....) ، مرجع سابق ، ص 298.

(53) المرجع السابق: ص 60.

obeikandl.com

(54) محمد سعد شحاته: العلاقات النحوية... ، مرجع سابق ، ص 302.

(55) أحمد عكاشه: ثقوب في الضمير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2003 ، ص 9.

(56) عبدالله عبدالدايم: المسألة الثقافية بين الأصالة والمعاصرة ، مجلة المستقبل العربي، العدد (71) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 5.

(57) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(58) علي أسعد واطفه: إشكالية الزمن ومأزق الثقافة العربية ، مجلة العربي ، العدد(529) ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ديسمبر 2002 ، ص 16.

(59) زكي نجيب محمود: مجتمع جديد أو الكارثة، دار الشروق ، بيروت ، 1978 ، ص 331.

(60) رفعت السعيد: التيارات السياسية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2002 ، ص ص 31 ، 32.

(61) فايز مراد مينا: التربية والتغيير الاجتماعي في مصر (الدور والمحاذير) ، المؤتمر الأول للعلوم التربوية والنفسية ، كلية التربية بكفرالشيخ ، 5-7 فبراير 1994 ، ص 101.

(62) سمير عبدالحميد القطب: المتطلبات التربوية..، مرجع سابق، ص ص 101 ، 102 .

(63) علي ليله: الشباب في مجتمع متغير (تأملات في ظواهر الإحياء والعنف) ، سلسلة عالم الاجتماع المعاصر(84) ، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة ، 1990 ، ص 407.

(64) محمد علي محمد وآخرون: المجتمع والثقافة والشخصية ، مرجع سابق ، ص 200.

(65) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

obeikandl.com

(66) محمد عفيفي مطر: هوامش التكوين ، مرجع سابق ، ص 122.
(67) المرجع السابق: ص 122.
(68) المرجع السابق: ص 123.
(69) المرجع السابق: ص 123.
(70) إيان كريب: النظرية الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 14.
(71) المرجع السابق: ص 14.
(72) أحمد إبراهيم اليوسف: علاقة التربية بالمجتمع ، مرجع سابق ، ص 8.
(73) علي أسعد واطفه: التربية إزاء تحديات... ، مرجع سابق ، ص 253.
(74) أحمد إبراهيم اليوسف: علاقة التربية.. ، مرجع سابق ، ص 23.
(75) المرجع السابق: ص 23.
(76) سعيد إسماعيل علي: فلسفات تربوية معاصرة ، مرجع سابق ، ص 193.
(77) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.
(78) محمد عفيفي مطر: هوامش التكوين ، مرجع سابق ، ص 22.
(79) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.
(80) عبدالله عبدالدايم: التربية في البلاد العربية (حاضرها ومشكلاتها ومستقبلها) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1983 ، ص 77.
(81) أحمد إبراهيم اليوسف: علاقة التربية .. ، مرجع سابق ، ص 28.
(82) المرجع السابق: ص ص 29 ، 30.
(83) عبدالفتاح الرشدان: دور التربية... ، مرجع سابق ، ص 91.
(84) الكسندر روشكا: الإبداع العام... ، مرجع سابق ، ص 19.
(85) محمد عفيفي مطر: هوامش التكوين ، مرجع سابق ، ص 52.
(86) أنطوان زحلان: العرب والتحدي الثقافي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (271) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، سبتمبر 2001 ، ص 57.

(87) الكسندر روشكا: الإبداع العام... ، مرجع سابق ، ص 20.

(88) شاكرعبدالحميد: العملية الإبداعية ، عالم المعرفة ، المجلس الـوطني للثقافـة والفنون والآداب ، العدد (109) ، الكويت ، يناير 1987 ، ص 87.

(89) المرجع السابق: ص 110.

(90) حسين فهيم: قصة الانثروبولوجيا ، مرجع سابق ، ص 20.

(91) نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب ، مرجع سابق ، ص 221.

(92) حديث الشاعر للباحث 2002/4/15.

(93) نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب ، مرجع سابق ، ص ص 221 ، 222.

(94) على النويجي وآخرون: عالم يتحول ووطن يستجيب ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 1999 ، ص 53.

(95) إبراهيم عصمت مطاوع: قراءات في التربية وعلم النفس ، طـ1 ، مكتبـة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، السعودية ، 1986 ، ص 113.

(96) سيد أبوضيف أحمد: الهيمنة الأمريكية نموذج القطب الواحد ، عالم الفكر ، المجلد(31) المجلس الوطني للثقافـة والفنـون والآداب، ينـاير/مـارس 2003، الكويت،ص 11.

(97) على أسعد واطفه: التحديات السياسية والاجتماعية في الكويت والوطن العربي ، مرجع سابق ، ص 68.

(98) محمد عفيفي مطر: هوامش التكوين ، مرجع سابق ، ص ص 57 ، 58.

(99) المرجع السابق ، ص 58.